

المحاضرة (٣٠)

نازك الملائكة ونقدها للشعر

إذا لم تكن ريادة الشعر الحر قد انحسرت لدى الدارسين، فيمن يجب أن تكون أبين نازك أم السياب، فإن ريادة نقد هذا الشعر قد عقد لوازها لنازك متمثلاً بمقدمات دواوينها، وبكتابها الرائد (قضايا الشعر المعاصر) ١٩٦٢

وإذا كان بديهاً أن كل عمل ريادي، بحاجة إلى شجاعة صاحبه، فإن نازك قد كان لها في نقدها قدر كاف من هذه الشجاعة، لأن معظم ما صدر لها من آراء وافكار، قد صمد أمام العديد من الدراسات والنقود التي حاولت الإقلال من شأنها والغض من قيمتها.

انماط النقد عند نازك

ويتمثل جهد الشاعرة النقدي في ثلاثة أنماط هي:

١- الكتب وأهم ما يمثلها (قضايا الشعر المعاصر) ١٩٦٢، والذي طبع عدة طبعات و(محاضرات في شعر علي محمود طه المهندس) الذي غيرت عنوانه في الطبعة الثانية وسمته (الصومعة والشرفة الحمراء) ١٩٧٩.

أما كتابها الثالث فهو (التجزئية في المجتمع العربي) ١٩٧٤.

ويحقق كتابها عن علي محمود طه الجانب التطبيقي في النقد، في حين يمثل الكتابات الآخران، الجانب النظري.

٢- أما النمط الثاني، وهو المقالات فيتمثل في الكثير من المقالات التي نشرت في المجالات العربية والتي لم تضمها كتب، وأهم المجالات التي احتوت مقالاتها تلك، الاداب البيروتية.

٣- وثالث هذه الانماط يتمثل في ما صدر لها من مقدمات في بعض دواوينها وأهمها مقدمة ديوانها (شظايا ورماد) ومقدمة مجموعتها (ماساة الحياة وأغنية للإنسان) ومقدمة ديوانها (للصلوات والثورة).

وقيمة هذه المقدمات تتجلى في إفصاح الشاعر عن العديد من مواقفها الفكرية والفلسفية وما يمكن أن يؤثر في إنتاجها الشعري ومنهجها النقدي.

والواقع ان كتابها النقدي (قضايا الشعر المعاصر) يعد أهم وثائقها النقدية، وخاصة ما يتصل منه بالجانب العروضي. إذ استطاعت الشاعرة أن تستنبط العديد من القواعد العروضية التي لا تتعارض مع عروض الخليل بن احمد، وإنما تقوم عليه، وعلى ما أمتلكته الشاعرة من ذوق رفيع وحسن دقيق، وفهم عميق خاص لمسألة الاوزان.

وقد عالجت الشاعرة الناقدة في القسم الاول من الكتاب، العديد من القضايا المهمة الأخرى، في مقدمتها الظروف والعوامل التي ادت إلى ظهور الشعر الحر. وقد اجتهدت الناقدة أن تسمي من هذه العوامل، إلحاح الظروف الاجتماعية والنفسية، ونفور الشاعر الحديث من النموذج الجاهز للقصيدة العربية وإيثار المضمون في العصر الحديث.

وتحدثت الشاعرة عن الشعر الحر بوصفه العروضي، فبحثت عروض الشعر الحر من حيث الأسلوب والتفصيلات، وفي بحوره وتشكيلاته وأنواع أوزانه، وموقف الشاعر الحديث من كل ذلك. كما تحدثت عن هذا الشعر الجديد بوصف أثره النفسي في الشعراء وفي جمهور القراء، وأشارت إلى بعض الأخطاء العروضية التي تعرض لها الشعر الحر. وحضت البنات بالعناية، إذ تحدثت عن مكانة من العروض العربيين وأشارت إلى قصيدة النثر وناقشتها في ظل اللغة والنقد الأدبي.

أما القسم الثاني من الكتاب فقد بحثت فيه هيكل القصيدة الحرة وجعلت لها ثلاثة أصناف هي، الهيكل المسطح والهيكل الهرمي والهيكل الذهبي. وبحثت أساليب التكرار في الشعر وفي دلالاته المختلفة.

ومن القضايا المهمة التي أثارها في هذا القسم الثاني من الكتاب، هي الصلة الحميمة بين الشعر وبين المجتمع، ثم صلة هذا الشعر الحر بالموت كما ورد لدى الشاعر الحديث. ولم تهمل الناقدة الرائدة، العديد من العيوب التي تعرض لها نقد هذا الشعر في أوساط نقاده، وأكدت بصورة خاصة على المسؤولية اللغوية التي يجب أن يضطلع بها الناقد العربي الحديث.

والواقع أن النقد العروضي لهذا الشعر كما تصورته نازك الملائكة قد تأتى من (غيرتها الحقيقية على الشعر الحر وأصوله التراثية معاً، والالتزام بالمتابعة لحمايته من الانفلات والانحراف)

وليس هذا فحسب، فقد كان من الأسباب التي دفعت الشاعرة الناقدة إلى هذا النقد العروضي، هو إحساسها الدقيق بما تمتلكه الاوزان العربية وقوافيها من قيم جمالية تكشف عنها (العلاقة بين موسيقى الشعر وبين سائر العناصر الفنية من صياغة ومضمون) .

وقد رأيت الشاعر أن علي محمود طه قد امتلك قدرات فذة في تمثيل هذه القيم الجمالية. وقد أظهرت في رصدها لهذه المسألة الجمالية المتأتية عن النقد العروضي، أنها تمتلك حساً موسيقياً مرهفاً، وخبرة تأتت لها من ممارساتها لنظم هذا الشعر وفهمها الدقيق لعروض الشعر العربي.

ولم يكن حرص الشاعر على الموروث الفني المتأني من توفير العنصر الموسيقي في البحور. هو السبب في دعوتها إلى الحفاظ عليه وحسب، بل كان لذوقها المرهف أثره في دعوتها إلى الاحتفاظ بالقافية عنصراً أساسياً في تحقيق الإيقاع. علماً إنها لم تكن تعند بالقافية في بداية دعوتها للشعر الحر.

ولقد عنيت نازك في نقدها الشعر الحر بعنصر اللغة عناية فائقة، (ومصدر عنايتها نظرتها الجمالية الخاصة لفن الشعر بخاصة، فالأدب عندها يبقى ظاهرة لغوية قبل كل شيء، والشكل لديها مقدم على المضمون) .

وقد حدا بها ذلك إلى تتبع الأخطاء اللغوية التي يقع بها الشعراء الناشئون على الخصوص، ودعت في مقالاتها وابتحائها، إلى وجوب حرص الشاعر على اللغة العربية وعلى صفائها ونقاؤها، تحقيقاً لجمالية الشكل في القصيدة، واعتداداً بالموروث اللغوي الذي حفظ للأمة العربية تراثها الأدبي الخالد، ورفضت الاستخدامات العامية التي لجأ إليها العديد من الشعراء. وقد امتلكت نازك في نقدها اللغوي هذا، حساً جمالياً دقيقاً، فقد نظرت إلى اللغة نظرة عميقة مؤداها، أن اللفظة المفردة لا قيمة لها، إلا إذا أدت دورها في النسيج العام للجملة المركبة، ليكون لها أثر في النسيج التعبيري للقصيدة.

وبذلك تكون نازك قد حققت للبلاغة وظيفتها الجمالية داخل العمل الشعري وأطالت الكلام في موضوع التكرار وجعلت له أصنافاً هي، التكرار البياني والتكرار اللاشعوري وتكرار التنظيم وتكرار التقسيم.

لقد تكلفت جهود نازك في دعوتها إلى الشعر الحر بتحقيق بعض الظواهر التي تتصل بهذا الشعر وتقعيده. من ذلك ابتداعها للعديد من المصطلحات، كمصطلحات العروض والقافية مثل (الأشطر السائبة والشعر الحر وشعر الشطرين) ومصطلحات هيكا القصيدة مثل (المسطح والهرمي والذهني) وصفات الهيكل الجيد، مثل (المتماسك والصلابة والكفاءة والتعادل).

وكذلك ابتداعها لبعض المصطلحات البلاغية التي سبق ان أشرنا إلى بعضها في الصفحات السابقة من مثل التكرار وأنواعه.

ومع ان نازك قد أحاطت احاطة شاملة بمعظم ماله صلة بالشعر الحر، إلا إن من الغريب حقاً إنها لم تول (الصورة الشعرية) عنايتها الكافية، كما فعلت في بحثها عن الموسيقى واللغة ودورها في جمالية الأداء الشعري. علماً أن الصورة في القصيدة الحرة هي أهم عناصرها السكونية لها، إذ عليها تقوم الوحدة العضوية التي تعد من القضايا الرئيسية في مكونات القصيدة الحديثة.

ومع أن الشاعر قد أثارت موضوع الصورة في بحثها عن (علي محمود طه) كما أنها أشارت إلى بعض الشعراء الذين وفروا الصورة الجيدة في شعرهم، كنزار قباني والسياب ومحمود حسن إسماعيل، إلا أن ذلك قد جاء سريعاً بعيداً عن العمق.

ولابد من الإشادة بجهود الشاعرة في تحقيق ظواهر فنية في الشعر الحر من مثل القصة الشعرية والرمز، وتوظيف أسلوب الحكاية الشعبية وتوظيف التراث العربي الإسلامي .
وأخيراً لابد من الإشارة والإشادة بما حقته نازك في مجال التأليف والنقد القصصي والمسرحي ولعل في قصصها المخطوطة (الشمس التي وراء القمة) و(رحلة في الأبعاد) و (إلى حيث النخيل والموسيقى) وغيرها مما سنراه في مجموعتها القصصية الأولى (الشمس التي وراء القمة) ما يكشف عن أبعاد تلك الصورة. كما ان في نقدها الروائي محاور أساسية تشكل قاعدة المنهج في كل نقد ... مثل (التوطئة) و(الموضوع) و(الحبكة) و(دراسة الشخصيات) و(دلالة الرموز) و(البناء الفني) و(المآخذ) في حين كانت المفردات منهجها في النقد المسرحي تركز على ما يأتي (الزمن) و(الشكل) و(البناء) و(دراسة الشخصيات) و(فلسفة المؤلف).
وفي هذا ما يدل على القدرة الشمولية التي لا تقف عند حدود معينة من الفن الشعري والنقد الادبي الذي اضطلعت بمسئوليتها (الشاعرة الناقدة وحسب، وهي قدرة تحققت لها من روافد لا تمتلك الحدود، وهذا هو الشأن في نازك التي تعد قمة من قممنا الادبية).

المصادر:

١- نازك الملائكة - دراسة في الشعر والشاعرة.

٢- نازك الملائكة الناقدة ،عبد الرضا علي- رسالة دكتوراه